المحاضرة السادسة والثلاثون

المحور الثاني: الرموز خصائصها ووظائفها

تشغل الرموز دورا هاما في فهم المجتمعات البشرية، إذ أن المجتمع والثقافة ينظر إليهما على انهما انساق اجتماعية وثقافية أو رمزية. فالثقافة كما يذهب جيرتز Greetz تعني نمط من المعاني المتضمنة في الرموز والمنقولة تاريخيا، وهي نسق من التصورات المتوارثة المعبر عنها في أشكال رمزية من خلالها يتصل الناس ببعضهم وينمون معرفتهم واتجاههم نحو الحياة. وإذا كانت الثقافة تتألف من أنماط ثقافية مثل الدين والايدولوجيا والحس العام والفن ونحو ذلك فان هذه الأنماط هي الأخرى انساق من الرمز تتحدد وتتكامل من كل منها مع الأخرى.

ومما يأتي نستعرض اهم الخصائص والوظائف المميزة التي جذبت علماء الانثربولوجيا والاجتماع إلى دراستها من جانب الاعتماد عليها في دراسة الثقافة والمجتمع من جانب أخر.

أولاً_ تتصنف الرموز بانها جمعية. فالرموز كما يذهب دوركايم Durkheim هي ظواهر جمعية بمعنى أنها سابقة على وجود الأفراد. فضلا عن أنها في متناول الجماعة كلها أنها تكون منضمة في سلوك هؤلاء الأفراد وأفعالهم. وبعبارة أخرى ان التصورات الجمعية Collective response عند دوركايم تعني الرموز.

بهذا المعنى ان الرموز ليست من خلق شخص بعينه إلا أنها تتصف بالخصوصية، بمعنى ان شخص واحد قد يعتنقها ويؤمن بأهميتها في حياته

الخاصة بحيث يصبح الرمز الجمعي العام رمزا شخصيا خاصا بفرد معين. لكن هذه الخصوصية لا تتناقض مع الصفة الأساسية للرموز بوصفها عامة وجمعية ومتفق عليها اجتماعيا. خلاصة القول تتشكل الرموز تاريخيا وتستخدم شخصيا وتبقى وتستمر اجتماعيا.

وتبدو أهمية الرموز الجمعية في اشتراك الأفراد فيها واستخدامهم لها في حياتهم اليومية، ومن دون الرموز المشتركة الجمعية لا يمكن أن توجد مفاهيم أو معان وبالتالي لا يمكن أن توجد الجماعة أساسا.

ثانيا_ تبدو خاصية الرموز بوصفها شكل مميز من أشكال التعبير، التعبير في الرموز الدينية والسياسية والملابس والقومية والإعلام والنصوص المكتوبة والرسوم والنقوش التي تستثير الانفعالات القوية بشأن التوحد مع الجماعة (المجتمع). ان الرموز تدفع الناس للتفكير والتعبير عن فكرهم بوصفها حاملة لمعاني كثيرة وتتميز بالمرونة وسهولة التشكل والحضور في أكثر من شكل تعبيري واحد. وتظهر هذه الخاصية في أحلي صورها في الرموز التي تحملها عناصر التراث الشفاهي أو الشعبي من أساطير وحكايات واغان وأمثال شعبية. وكذلك في لغة الجسد والبدن والفنون الشعبية فضلا عن سائر أشكال اللغة والشعائر والموسيقى.

ثالثا_ الرموز وسائل هامة في عملية الاتصال والتفاعل الاجتماعي. بوصفها شكل من أشكال التعبير فضلا عن كونها حاملة للمعاني والمفاهيم، تقوم الرموز بمساعدة الأفراد على تحقيق الاتصال ببعضهم البعض. وأهمية الرموز في عملية الاتصال والتفاعل الاجتماعي تتضح في كونها تحل محل

الأشياء المرموز إليها. فالأفراد ينكرون ويعبرون عن تفكيرهم بالكلمات التي هي رموز وتصورات تسهل عملية الاتصال والتفاعل الاجتماعي.

مثال في ذلك أن الأفراد يختلفون بعضهم عن الآخر في أحاسيسهم ومشاعرهم وتفكيرهم ، لكنهم يفهمون بعضهم الآخر بوصفهم يتشابهون في تصوراتهم نحو الفكرة أو الموضوع أو شخص ما ،اذا كانت تلك التصورات المشتركة معبر عنها برموز متفق عليها. وذلك أن الرموز تحل محل الأشياء والأفكار والتصورات المرموز إليها.

فضلا عن ذلك ان الرموز متضمنة في الأفعال الرمزية وأنماط السلوك الرمزي السائدة في مجتمع معين.

ان أداء شعيرة معينة أو فعل رمزي يسمح لتوصيل الأفكار وإعادة صياغتها بالاستعانة بحد ادنى من الكلمات أو من دون استخدام الكلمات على الإطلاق.

رابعا_ الرموز العلمية وسيلة لتحصيل وتخزين المعرفة. ان الإدراك وأنواع المعرفة المختلفة العلمية وغير العلمية وكما يذهب بارسونز T.Parsonsتتأسس على الرموز وهناك اختلاف بسيط بين استخدام العلم للرموز والاستخدامات الأخرى لها. ففي العلم ان هناك علاقة بسيطة بين الرمز والمرموز إليه، إذ يشير مباشرة إلى الموضوع الطبيعي المادي.

بينما في الدين يتصف الرمز بقدرته على الإشارة الرمزية المزدوجة أو المتعددة بمعنى انه يشير إلى اكثر من معنى في وقت واحد، فضلا عن ذلك ان المعلومات أو المعاني المتعلقة بموضوع أو موضوعات معينة يمكن تمثيلها وتخزينها في رمز واحد سواء كان الرمز كلمة أو شيء أو فعل. فضلا عن انه

يشير (الرمز) إلى تصور يرتبط بقيمة ويشير لدى مدركه تركيبا معقدا من التصورات والأفكار والانفعالات التي تتحول بعضها لتصبح رموزا.

خامسا_الرموز وسيلة فعالة في الضبط الاجتماعي

أن ما يشير إليه الرمز يكون له قيمة في حد ذاته وهذه القيمة تجعل من الرمز والمرموز إليه مثل العلم، الوطن محل تقدير واحترام. وبمعنى أخر تشغل الرموز دورها في الضبط الاجتماعي بمعناه الواسع بما يتضمنه من جوانب رسمية شرعية وجوانب غير رسمية ترتبط بالعرف والتقاليد والرأي العام. وفي هذا المضمون نستخدم الرموز كميكرنيزمات في الضبط الاجتماعي في أكثر من جانب، فمن ناحية نستخدم (الرموز) كمرجع أو دليل أو رمز أو سند قبل أن يصبح السلوك مشكلة، ويكون اللجوء إلى الرمز في هذه الحالة ضروريا بوصفها تمثل قيما معينة يتوجب من الأفراد الالتزام بها وعدم انتهاكها وبعبارة أخرى إن وظيفة الرمز هنا تمنع المشكلة قبل وقوعها. لذا أن الرمز بهذا المعنى يختلف عن القوة الفيزيقية كاداه لفرض النظام أو الضبط الاجتماعي. ويعد الأجداد بوصفهم رموز لأنماط سلوكية معينة وكذلك الحكم والمؤثرات المستخدمة من التراث مراجع رمزية يرجع إليها الأفراد للتأكد من تطابق سلوكهم مع القوانين ومعايير المجتمع.

من ناحية أخرى تستخدم الرموز كوسيلة للضبط عندما تكون تحت السيطرة المباشرة للأشخاص الذين يرغبون التأثير على سلوك الآخرين وضبطه. وكما يذهب رايت ميلز Right Mills يعمل الذين في السلطة تبرير سيطرتهم على النظم بربط سلطتهم برموز أخلاقية تكون محل اعتقاد من الجميع. مثل الشعارات المقدسة والقواعد القانونية المستمدة شرعياً من الدين.